أمل دنقل

الأعمال الشعرية الكاملة

مكتبة مدبولي
القاهرة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لاعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة ونبضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انشب أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للانسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء الشاعر ومحبيه أفقدهم القدرة على الكتابة الشعرية أو النثرية على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل واحد الذين رافقوه وقرأوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الامساك بخيوط التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الغارقة في قاع الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا ـ منذ أول لقاء ـ مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر ـ كثيرة وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإنني سأحاول اختيار أقلها

وأقربها إلى الوجدان العام ـ ولأن النهاية دائماً هي الأقرب وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحى فإننا سنبدأ من النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال : ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن أغلقت الباب ورائي وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة لأسألها عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوانب الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذاالذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أتمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثر أو انفعال يثير في نفسه ، ، الألم ، الأأنني ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بابتسامة عريضة ثم سألني : لماذا تبكي ؟ اتخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء . . وواصل ابتسامته المنكسرة ، ولاحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر . .

ومضيت مع الصديق نتجاذب أطراف الحديث ونتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلالها امل دنقل اكثر من مرة وذات يوم رأيته كالعادة يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رآني توجه نحوي قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا يز شعرة في جفني ، ولا يخفف الم دقيقة واحدة من عذابي الطويل المرير !!

أطياف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالأخير وتأثره بشعره أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرفت فيها على أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له أسلوبه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطافة الحقيقية نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما يمس بعبقرية الشاعر من قريب فقد كرست المآسي العظيمة الشعراء العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ، وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دواوينه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلفظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أخوي . . وفي ماتبقى من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذيوع ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنترة (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الاهمال يسوق النوق إلى المرعى ويحتلب الأغنام ويجتر أحلام الخصيان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضاءة بالمسرات وألوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

يحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحد لا أدب استسلام
ولطم خدود وبكاء عاجز على اللبن المراق في صيف
التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسته وتنامي أطماعه :

أيتها النبية المقدسة . .
لا تسكتي . . فقد سكت سنة فسنة . .
لكي أنال فضلة الأمان
قيل لي « اخرس . . »
فخرست . . وعميت . . وائتممت بالخصيان
ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان
اجتز صوفها . .

أرد نوقها . .
أنام في حظائر النسيان
طعامي : الكسرة . . والماء . . وبعض التمرات اليابسة
وها أنا في ساعة الطعان . .
ساعة أن تخاذل الكماة . . والرماة . . والفرسان .
دعيت للميدان
أنا الذي ما ذقت لحم الضان . .
أنا الذي لا حول لي أو شان . .
أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،
أدعى إلى الموت . . ولم أدع إلى المجالسة . .
تكلمي أيتها النبية المقدسة . .
تكلمي . . تكلمي . .
فها أنا على التراب سائل دمي
وهو ظمئ . . يطلب المزيدا . .
أسائل الصمت الذى يخنقني .
« ما للجمال مشيها وئيدا . . ؟! »

أجندلاً يحملن أم حديدا . . ؟!

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول مصير ـ خولة ـ الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من ـ أريحا ـ بعد أن ذبحوا شقيقها :

سألني كافور عن حزني
فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة
شريدة . . كالقطة
تصيح (كافوراه . . كافوراه)
فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجلد كي تصيح (واروماه . . واروماه . .)
. . لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن . . ! »

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً مداها في محاولته الجريئة فضح القيادة العسكرية المهلهلة ، وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية التأريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق) حيث يظل أسلوب التضمين سطحياً وناشزاً عن السياق الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وئيدا) ولنر الآن كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من معالم شعر ما بعد حزيران :

تسألني جاريتي ان اكتري للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر . . بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعيه خلف الباب . . متراسا
(ما حاجتي للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟
بما مضى ؟ أم لأرضى فيك تهويد ؟
(نامت نواطير مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
ناديت يا نيل هل تجري المياه دما
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة وآثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته الشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق النبيل والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما يتحدثون عن فئران التجارب وأرانب المعامل ولكن دون إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر كبير كأمل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على شيء وقد ساعدته عفويته المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة على الاحتفاظ بنقائه وتمرده . .

أطياف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشوهت معالم الأيام العربية ، رحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأبيني ، وكنت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد اختار مكاناً قصياً في الاستراحة وحيداً وبعيداً عن الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوحداً لأن قصيدة الرثاء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليبدد شحنة الغضب ثم يعود إلينا ليملأ المكان بملاحظاته وضحكاته (وقفشاته)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة والشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتنقل في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملتزمين أو المتسيسين . وقد نال الشعراء بخاصة طوال عهده حظوة كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة ايا من شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد مواقفهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة عبدالناصر بعض المتشاعرين الذين حاولوا من منطلق المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار ومواقف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبدالناصر نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية للشعر والشعراء .

كان عبدالناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الأقطار العربية يشكل طاقة حدس واكتشاف خلاقه فالشاعر ليس كزرقاء اليمامة ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونبهت إلى ما حدث قبل أن يحدث ، ونشرت الأهرام في ما اتذكر قصيدة للشاعر محمد إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة (نحن غزاة مدينتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في صحائف مكتوبة من قبل .

يكون . . لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
فيه . . صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعنا من حفل التأبين ، وكانت الأضواء الصفراء في الميادين والطرقات قد زادت اصفراراً وشحوباً . وكان زميلنا الذي يقود سيارته والدموع تملأ عينيه يردد القسم الذي أطلقه أمل دنقل ، وكان مثله يحلم بعودة سيناء وبسقوط النجمة السداسية من فوق حائط المبكى إلى التراب . . .

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبدلات الأنيقة والسيارات الفارهة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعاليك المعاصرين الذين يرغبون عن عَالم المغريات المختلفةوأن يظلوا خفافاً نظافاً لا تأسرهم زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطياتها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية الأقطار العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعرهم أو بالأصح لم ينخفض بهم إلى مستوى البذخ المادي والترف الحياتي ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك العصر الحديث أنه كفيل بأن لا يلقن اسراره العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البريئة من التطلعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات الشعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سراديب مضاءة تصرفهم عن الشعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة الشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر المرحوم

عبدالحميد الديب الذي هزت أخبار بؤسه الثلاثينات والأربعينات وحفلت المقاهي والمنتديات في تلك الفترة بأحاديث بؤسه وبمطارحاته واهاجيه المتنوعة ، إلا أن الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ، صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي وناتج عن نهم شديد إلى الحياة في حين أن بؤس الآخر عام وناتج عن زهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها الثاني لما تردد عَن دخولها غير هياب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذاك فإن امل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبدالحميد الديب والهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم المراحل السابقة كلها .

لقد انفق امل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

المقاهي - كما فعل عبدالحميد الديب تماما لكن أحاديث المقاهي اختلفت والقصد من ارتياد المقهى اختلف أيضاً ، القضية التي تؤرق امل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن عبدالحميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فبقدر كبير من الغموض ، وإذا كنت قد أشرت فيما سبق من حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي تتواكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً ووضوحاً صورة امل دنقل في بيته أو بالأصح في احدى الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في ميدان العجوزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله الصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة عشرات المرات رافقني في معظم تلك الزيارات الصديق الشاعر محمد الشرقي اثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة كنا نرى امل دنقل اما نائماً أو مشغولاً باعداد طعام الغداء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات الطويلة بعد أن يتناول الشاعران البائسان غداءهما أو عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا نتوجه إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرقي لقضاء سهرة أدبية لا تقتصر على امل وزميله ، إذ غالباً ما ينضم إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهما من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي بأحاديث الفكر والأدب وبروائع الشعر ، ولعل الفترة التي قضاها امل دنقل في شقة ميدان العجوزة اسوأ فترات حياته وأحفلها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال به وبزميله الشاعر حسن توفيق إلى أن يتبادلا ارتداء قميص واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج احدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

انه بالرغم من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك السنوات هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل أهم قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة قفزت به من بين شعراء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين الشاعرين الكبيرين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة الحجرية) حدثاً في تاريخ الشعر السياسي في مصر وفي الشعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب ومصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م ومنها هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي ارتعشت يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتململ الشعب :

اذكريني !!
فقد لوثتني العناوين
في الصحف الخائنة
لونتني لأني منذ الهزيمةلا لون لي

غير لون الضياع
قبلها كنت اقرأ في صفحة الرمل
والرمل أصبح كالعملة الصعبة
الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !
فاذكريني ، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي . .
وكـاب العقيد . . . وزينة رأس السنة
اذكريني إذا نسيتني شهود العيان
ومضبطة البرلمان
وقائمة التهم المعلنة
الوداع !
الوداع !

(مِن ديوان العهد الآتي) .

انشودة البساطة :

كـان أمل دنقـل شاعـر البسـاطـة في زمن التعقيـد والغموض ، وأول ما يلفت الانتباه في قصائـده البساطـة الحادة المصقولة التي تتحول إلى انشـودة مفرطـة التواضـع « وأنشودة البساطة » تعبير حديث اطلقه بين شباب الكتاب والشعراء الكاتب الفنان يحيى حقي ، والبساطة عند ذلـك الشيخ الوقور - كما فهمها جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد على القواعد اللغوية اوالخروج على الأسس الفنية للكتابة ، ولا نعني الرقة والتبسيط ، إنما نعني تلقائية التناول أو عفوية التعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشـونة المعنى ، وتحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر قليـل من الكتاب . . إلى أنشـودة جماعيـة والى لغـة فن ووجدان . ومن السهل جـداً أن يتتبع المتلقي فضـلاً عن الدارس تجربة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه ومن الشعراء الذين سبقـوه وقد ظلت تجـربته متميـزة منذ البـداية الصحيحـة إلى أن توقفت مـع الـوفـاة . وكـانت بساطته في التناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني الفـرار من المحيط المباشـر للواقـع ، ولا تعني الفـرار من مواجهة العذاب الانساني والخراب والدمـار والتشويـه ، وهذا الموقف جعله لا يقيم كبـير وزن لما يسمى بـالألفاظ

الشعرية ، أو بالمعاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف عن الهجوم السافر الحاد على كثير من شعراء القصيدة « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاوز يقف عند دائرة اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك الصنع لا يزيد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي ـ العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ، في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه بالناس ، وتجاوبهم بالتالي معه ، وتخليهم عن الشكل القديم . . وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن المطلقات . . ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى تجاوز للطرائق الفنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ، واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

لجوء إلى الايهام بمحاولة تغيير الواقع أو الايهام بالثورة عن طريق ثورة شكلية فقط . . . الشعر لا يلقن اسراره العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي القلوب البريئة من التطلعات المريضة » أي تكون الثورة على مستوى الشكل فقط .

(ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م) .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من احزان أمة كبيرة أسيرة اخطبوط خطير هائل من المعاناة والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يتهددها ، ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قاموسية مجردة عن أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي واماتة الحواس بدلاً من ايقاظها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتخلى الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب الميتة أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة من البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

قضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية شغلت الجانب الأكبر من تأريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من تهمة الزندقة والالحاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية ويعد عنها رسالة دكتوراه ، يعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

على الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعرا بالذات ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القائ على النزاهة والصراحة ـ وهو يكتب الشعر ـ رأى أن كثير من التهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة ف الوقت ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب المذاهب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء ـ عب العصور ـ أكثر حدة فلم تذبح التهم الكبيرة فيلسوفاً وا قادت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتورا عن الاجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعرا الاحياء وعند بعض الأدباء الذين تؤرقهم المحنة التي انسحبت إلى عصرنا من سلبيات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريا محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالاضافة إلى مح الفقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير نعم محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارتاكوس

الأخيرة » واحدة من القصائد التي وضعها « زعماء محاكم التفتيش » على مشرحة التكفير ، والقصيدة تدعو إلى التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بانسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر اثارة يقول :

المجد للشيطان . . معبود الرياح
من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)
من علم الانسان تمزيق العدم
من قال (لا) . . فلم يمت ،
وظل روحاً ابدية الألم !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكنه للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر) وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه الأبدية الألم تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

محاكم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يمجد ابليس وأنه بذلك قد كفر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار العقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل الحل والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر الواسعة الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهاليز الكراهية إلى أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطغيان وأخذه الله إلى جواره الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الاسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي تسير في الشوارع محنية الظهور مثقلة الأعناق كقطيع الأغنام ، لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة والشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة(٩٩,٩٩

تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العاقبة لا تختلف كثيراً عن عاقبة ذلك الثائر المعلق في مشنقة على مدخل المدينة الظالمة :

معلق أنا على مشانق الصباح
وجبهتي ـ بالموت ـ محْنية
لأنني لم أحنها . . حية
. . . . . .
يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين
منحدرين في نهاية المساء
في شارع الاسكندر الأكبر :
لا تخجلوا . . ولترفعوا عيونكم إلي
لأنكم معلقون جانبي . . على مشانق القيصر . .
فلترفعوا عيونكم إلي
لربما . . إذا التقت عيونكم بالموت في عيني
يبتسم الفناء داخلي . .
لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن طهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

تفتيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل اولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين نب قتل المواهب ؟ كان الشاعر متهماً منذ كان متنبي يلة وصوت احزانها ، ورجال الدين يتهمونه بالتجديف لحاد . . ورجال السلطة يتهمونه بالخروج على النظام طيم الاستقرار الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي العصر الحديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور برات العصر وتطوراته . . في مواجهة جدار اليأس حباط

آه . . ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق
ربما ننفق كل العمر . . كي نثقب ثغره
ليمر النور للأجيال مره !
. . . . . .
ربما لو لم يكن هذا الجدار . .
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق . . !

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص بمرارة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور ويميع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس منذ البداية الشعور البائس المحبط ، ولكنها في الوقت ذاته تكشف عن استعداد شجاع وجريء لمواجهة هذا الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأني بالشاعر في بداية حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن تفاؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ، فأي معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة ، حتى

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المضني الرتيب . وأي عذاب للانسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الانساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلال النور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه الجدار الواقف في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تنزف دماً . وان يظل ابناؤها هكذا حيارى يفترسهم الارهاب وتتقاذفهم الهموم إلى نهاية العالم .

أخيراً أي شعور حزين يعتـ
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ،
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا
ابناء هذا الوطن و لأروع ما
ونقاء . . . .

الدكتور عبا

مقتل القمر

الاهداء

إلى الاسكندرية
سنوات الصبا !

أحسُّ حيال عينيك
بشيءٍ داخلي يبكى
أحس خطيئةَ الماضى تعرَّت بين كفيك
وعنقوداً من التفاح فى عينين خضراوين
أأنسى رحلة الآثام فى عينين فردوسين ؟
وحتى أين ؟
تعذّبنى خطيئاتى .. بعيداً عن مواعيدك
وتحرقنى اشتهاءاتى قريباً من عناقيدك !
وفى صدرى
صبي أحمر الأظفار والماضى
يخطط فى تراب الروح ،
فى أنقاض أنقاضى !
وأنظر نحو عينيك

فترعشنى طهارة حب
وتغرقنى اختلاجة هدب
وألمح ــ من خلال الموج ــ وجه الرب
يؤنبنى
على نيران أنفاسى يقلبنى
وأطرق ...
والصراع المُرّ فى جوفى يعذبنى !!
... ...
أحدق فى خطوط الصيف فى شفتيك :
يموى داخلى الحرمان
(لهيب آدمى الشوق ، مصباحان يرتعشان)
وأهرب نحو عينيك :
يطالعنى الندى والله والغفران !
وأسقط بين نهديك
لتحترق الروءى
وأغرق فيهما بالنار والشك
فتثوى رغبتى شيا
وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسى الملفوح فى صدرك
فقد تترمدّ الأفكار فى جمرك
وأحرق جنة المأوى
... ...
فيا ذات العيون الخضرْ
دعى عينيك مغمضتين فوق السرّ
.. لأصبح حرْ !!

طفلتها

(.. مرت بخمس سنوات على الوداع وفجأة .. رأى طفلتها !)

لاتفرِّى من يدى مختبئه
.. خبت النار بجوف المدفأة !
أنا ..
(لوتدرين)
من كنت له طفله
لولا زمان فجأه
كان فى كفّى ما ضيعته
فى وعود الكلمات المرجأه
كان فى جنبىّ
لم أدر به !
.. أو يدرى البحر قدر اللؤلؤة ؟

إنما عمرك عمر ضائع من شبابى
فى الدروب المخطئة
كلما فرت بعام
حسرت مهجتى عاماً
.. وأبقت صداه
ثم لم نحمل من الماضى
سوى ذكريات فى الأسى مهترئه
تعرى بالدجى
إن الدجى للذى ضل مناه ..
تكه !!

° ° °

العيون الواسعات الهادئة
والشفاه الحلوة الممتلئة :
قصة طفليّه
أذكرها

وهى عن سبعة عشر منبئة
إننى أعرفها
فاقتربى
فكلانا فى طريق أخطأه
ساقنى حمقى
وفى حلقى مرارة شوق
وأمان صدئه
فابسمى ياطفلتى
(منذ مضت ... وابتسامات الضحى منطفئة)
ثرثرى
(صوتك موسيقى حكت صوتها ذا النبرات المدفئة)
ــ « إحكِ لى أحجيةً »
ــ لم يبق فى جعبتى
غير الحكايا السيئة
فاسمعيها يا ابنتى مسرعةً
عبرت فيها الليالى .. مبطئة
.....
« كان يا ما كان »

أن كان فتى
لم يكن يملك إلا .. مبدأه
وفتاة ذات ثغر يشتهى قبلة الشمس
تروى ظمأه
حقق الحب بها ؛ فاستسلمت
وسرى الحب به ؛ فاستمرأه
بهما قد صعدت مركبه
للضحى
فى قصة مبتدئة
وهو فى شرفته مرتقب
وهى فى شباكها .. متكئة
نعمٌ منقسمٌ
لا ينتهى حُلُمٌ
إلا وحلم بدأه
صعدا
سلمةً ..
سلمة ..

فى قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

° ° °

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشترى نصف امرأة
حينما أومأ لها مبتسماً
فأشاحت عنه
كالمستهزئة
اشتراها فى الدجى
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للمئة
لم يكن شاعرها فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهنئة

لم يكن يملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

° ° °

أترى تدرين من كان الفتى ؟
فهو يدرى الآن
يدرى خطأه !
والتى بيعت وفى معصمها الوشم
فاعتاد الفؤاد الطأطأة !؟
ومن النخاس ؟
هل تدرينه ؟
وهو ملاّح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
يكرهه ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفلته)

وأنت ياحبيبى
طير على سفر

° ° °

ويرحل المطر
ويذبل الشجر
ويغمر الغبار النقوش والصور
... ...
وتهبط الأحزان
فتمحى الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان
وينخر السوس القديم فى العيدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان
تسأل عن هوانا
تسأل عما كان

.. ماكان يا حبيبى
حلم ؛ وقد عبر !

° ° °

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبى
مازال ينتظر

قلبي .. والعيون الخضر

- ١ -

صبياً كان
شددت على يديه القوس
أعلمه الرماية
(كى يفوق بقية الأقران)
« فلما اشتدّ ساعده .. »
.....
ثلاث سنين
أبارز قلبى المفتون
يجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال
تطل علىّ ــ خلف لثامه ــ عينان خضراوان
(كأوردةٍ تلوّن بطن ركبة عانس عجفاء)
وقبلا .. كانتا فى وجه قديسة !

° ° °

ثلاث سنين
ينازلنى ، أنازله

هاث ساخن ، وغبار
يرف على الفم المزموم ،
ثم يرين فوق العشب والأسوار
وكان الفخ قرب الباب
سقطتُ ملوَّث الرئتين والأثواب
أشاحت عنى العينان
وكنت تراب
وكان يدير لى كتفيه فى استهزاء
.. وتعرف أنت
ماذا يفعل المغلوب مثلى
حين يوليه العدو الظهر ؛
وفى كفى بقايا سهم
.....

° ° °

وطفلاً كنت ، كالأطفال
ومركبة من الكلمات تحملنى لعرش الشمس
وقلدنى الهوى سيفه :
« إلى ذات العيون الخضر »
وكوكبة من الربات مصطفة
« إلى ذات العيون الخضر »

وقريتنا ــ وراء العين ــ توراة من الصمت
وثرثرة من الغدران
وصوت الطبل
يدق لينزع القمر القديم نقابه المعتل
وطفل شاحب ينهض
تزغرد نسوة لختانه المدسوس فى جلبابه الأبيض
وفوق الجسر
غلام لاهث يعدو
ليمسك مهرة فرت وفى سيقانها يتعلق القيد
... ...
ومركبتى تشد الأفق مخروطية الدرب
« إلى ذات العيون الخضر »
تلال السحب تهرب من ورائى كومة .. كومة
وأنسام تضم عباءتى بأنامل الرحمة
ومن ضمه
إلى ضمه
تنسمنا قلاع الحب والحكمة
ولكنا على الأبواب
أطل نتوء

(كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)
على العجلات مد لسانه الموبوء
تهاوت فيه مركبتى
فعد ياصاحب الكلمات
كأسياخ الحديد توهجت فى النار
تمر على عيونك أحرف الكلمات
« هوانا مات »
تهاوينا
بلغنا قمة القمة
لنهبط فى انحدار الجانب الآخر
ومن عثره الى عثرة
تلقانا تراب الأرض فى راحاته البرّة
ودارت قهوة الموتى

رأيت يديك هذا اليوم
معطرتين ، ناعمتين
ولكنى رأيت على أظافرك الدم الملتم
وفى المجرى الذى ينساب فى النهدين
مددت يدك قبيل النوم

عثرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

[illegible] هوى أن نلتقي .. سهوا
[illegible] كنت أفتقدكْ
[illegible] وجهها الحلوا

° ° °

كل الذي سميته : شدوا
من قبل ما أجدكْ ؛
أضحى على شفة الصبا .. لغوا

° ° °

كن لي كما أهوى
[illegible] عليّ الدفء والحلوى
[illegible] تبث سماتك الشجوا
[illegible] مرتعدكْ

° ° °

[illegible] حبنا أعدك

الصيف فيك يعانق الصحوا
عيناك ترتخيان فى أرجوحة
والثغر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى

* * *

فى الليل افتقدك
فتضىء لى قسماتك النشوى
تأتى خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس فى وجهى لظى الأنفاس
حين يلفنى رغدك !
وأنام !
تحملنى رؤاك لنجمة قصوى
نترفق الخطوا
نحكى ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزنى صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

[illegible] وجهها الحلوا
[illegible] فى مجدب السلوى
[illegible] لا أقوى
[illegible] الخطوا
[illegible] سندك

* * *

[illegible] وجهها الحلوا
[illegible] أفتقدك
[illegible] أفتقدك

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس
فى كل المدينة :
« قتل القمر » !
شهدوه مصلوباً تدلى رأسه فوق الشجر !
نهب اللصوص قلادة الماس الثمينة
من صدره !
تركوه فى الأعواد ،
كالأسطورة السوداء فى عينى ضرير
ويقول جارى :
ــ « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »
وتقول جارتنا الصبية :
ــ « كان يعجبه غنائى فى المساء
وكان يهدينى قوارير العطور
فبأى ذنب يقتلونه ؟
هل شاهدوه عند نافذتى ــ قبيل الفجر ــ يصغى للغناء !!! »
....

[illegible] الدمعات من كل العيون
[illegible] الأيام ــ أطفال القمر
[illegible] ــ
[illegible] ــ
[illegible] يموت الناس .. مات !
[illegible] :
[illegible] عن الأيدى التى غدرت به
[illegible] يستمع لى ،
ــ [illegible] مات !

° ° °

[illegible] بعصابته
[illegible] جفنيه على عينيه ..
[illegible] لا يرى من فارقوه !
[illegible] من باب المدينة
[illegible] :

يا أبناء قريتنا أبوكم مات
قد قتله أبناء المدينة
ذرفوا عليه دموع إخوة يوسف
وتفرّقوا

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضغينة
يا اخوتى : هذا أبوكم مات !
ـــ ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت
بالأمس طول الليل كان هنا
يقص لنا حكايته الحزينة !
ـــ يا اخوتى بيدىّ هاتين احتضنته
أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفنوه !
قالوا : كفاك ، اصمت
فانك لست تدرى ما تقول
قلت : الحقيقة ما أقول
قالوا : انتظر
لم تبق إلا بضع ساعات ..
ويأتى !

° ° °

حط المساء
وأطل من فوق القمر
متألق البسمات ، ماسىّ النظر
ـــ يا اخوتى هذا أبوكم ما يزال هنا
فمن هو ذلك الملقى علىّ أرض المدينة ؟

قالوا : غريب
ظنه الناس القمر
قتلوه ، ثم بكوا عليه
ورددوا « قتل القمر »
لكن أبونا لايموت
أبداً أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء فى قلبى يحترقُ
إذ يمضى الوقت .. فنفترقُ
ونمد الأيدى
يجمعها حب
وتفرقها .. طرقُ

° ° °

.. ولأنت جوارى ضاجعة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحديثك يغزله مرح
والوجه .. حديث متسق
ترخين جفونا
أغرقها سحر
فطفا فيها الغرق
وشبابك حانٌ جبلىٌّ
أرز ، وغدير ينبثق

وبيد دهبى وحدى
مصطبح منه ومغتبق
وتغوص بقلبى نشوته
تدفعنى فيكِ .. فتلتصق
وأمد يدين معربدتين
فثوبك فى كفى ..
مزق
وذراعك يلتف
ونهر من أقصى الغابة يندفق
وأضمك
شفة فى شفة
فيغيب الكون ، وينطبق
.....
وتموت النار
فنرقبها
بجفون حار بها الأرق
خجلى !
وشفاهك ذائبة
وثمارك نشوى تندلق

ونعود نثرثر
كبحيرات هادئة
غطاها الورق
ويمر الوقت فلا ندرى
ويقيم محافله الشفق
وتدق الساعة معلنة
فيهب بنا صحو قلق
ويحين وداع
وقتى
وأراه كحلم ينسحق
يرتد الصمت لموضعه
ويعود إلى الأذن الحلق
ونمد الأيدى
راغمة
نتشباكى العتب
وتنزلق !
وأحس بشىء فى صدرى
شىء .. كالفرحة
يحترق !

قالت : تعال إلىّ
واصعد ذلك الدرج الصغير
قلت : القيود تشدنى
والخطو مضنى لا يسير
مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغتِ
وقد أخور
درج صغير
غير أن طريقه .. بلا مصير
فدعى مكانى للأسى
وامضى الى غدك الأمير
فالعمر أقصر من طموحى
والأسى قتل الغدا

° ° °

قالت : سأنزل
قلت : يا معبودتى لا تنزلى لى

قالت : سأنزل
قلت : خطوك منته فى المستحيل
ما نحن ملتقيان
رغم توحد الأمل النبيل
... ...
نزلت تدق على السكون
رنين ناقوس ثقيل
وعيوننا متشابكات فى أسى الماضى الطويل
تخطو إلىَّ
وخطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل
وبكى العناق
ولم أجد إلا الصدى
إلا الصدى

ماريّا ؛ يا ساقية المشرب
الليلة عيد
لكنا نخفى جمرات التنهيد !
صبى النشوة نخباً .. نخبا
صبى حبا
قد جئنا الليلة من أجلك
لريح العمر المتشرد خلف شعاع الغيب المهلك
فى ظل الأهداب الإغريقية !
ما أحلى استرخاءة حزن فى ظلك
فى ظل الهدب الأسود
.....
ـــ ماذا يا ماريّا ؟
ـــ الناس هنا كالناس هنالك فى اليونان
بسطاء العيشة ، محبوبون
ـــ لا يا ماريّا

الناس هنا ــ فى المدن الكبرى ــ ساعات
! تتخلف
! تتوقف
! تتصرف
آلات ، آلات ، آلات
كُفى يا ماريّا
نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان !
.....
ماذا يا سيدة البهجة ؟
العام القادم فى بيتى زوجة ؟!
قد ضاعت يا ماريا من كنت أود
ماتت فى حضن آخر
لكن ما فائدة الذكرى
ما جدوى الحزن المقعد
نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب
كفى يا ماريّا
نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان
.....
قولى يا ماريّا

أوَما كنت زماناً طفلة
يلقى الشعر على جبهتها ظله
من أول رجل دخل الجنه واستلقى فوق الشطآن
علقت فى جبهته من ليلك خصلة
فضَّ الثغر بأول قبلة
أوَما غنيت لأول حبّ
غنينا يا ماريّا
أغنية من سنوات الحب العذب
.....
.....
.....
ما أحلى النغمة
لتكاد تترجم معناها كلمة .. كلمة
غنيها ثانيةً .. غنى
(أوف .
لا تتجهم
ما دمت جوارى ، فلتتبسم
بين يديك وجودى كنز الحب
عيناى الليل .. ووجهى النور

شفتاى نبيذ معصورّ
صدرى جنتك الموعودة
وذراعاى وساد الرب
فتبسم للحب ، تبسم
لا تتجهم
لا تتجهم)

....

ما دُمت جوارك يا ماريّا لن أتجهم
حتى لو كنت الآن شباباً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عينى نحو الشمس كثيراً
لكنى منذ هجرت بلادى

فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عينى نحو الشمس كثيراً
لكنى منذ هجرت بلادى
والأشواقْ
تمضغنى ، وعرفتُ الأطراق

قولى يا ماريّا
العام القادم يبصر كلٌ منا أهله
كى أرجع طفلاً .. وتعودى طفلة
لكنا الليلة محرومون
صبى أشجانك نخباً .. نخبا
صبى حبا
فأنا ورفاق
قد جئنا الليلة من أجلك !

أمل دنقل

الأعمال الشعرية الكاملة

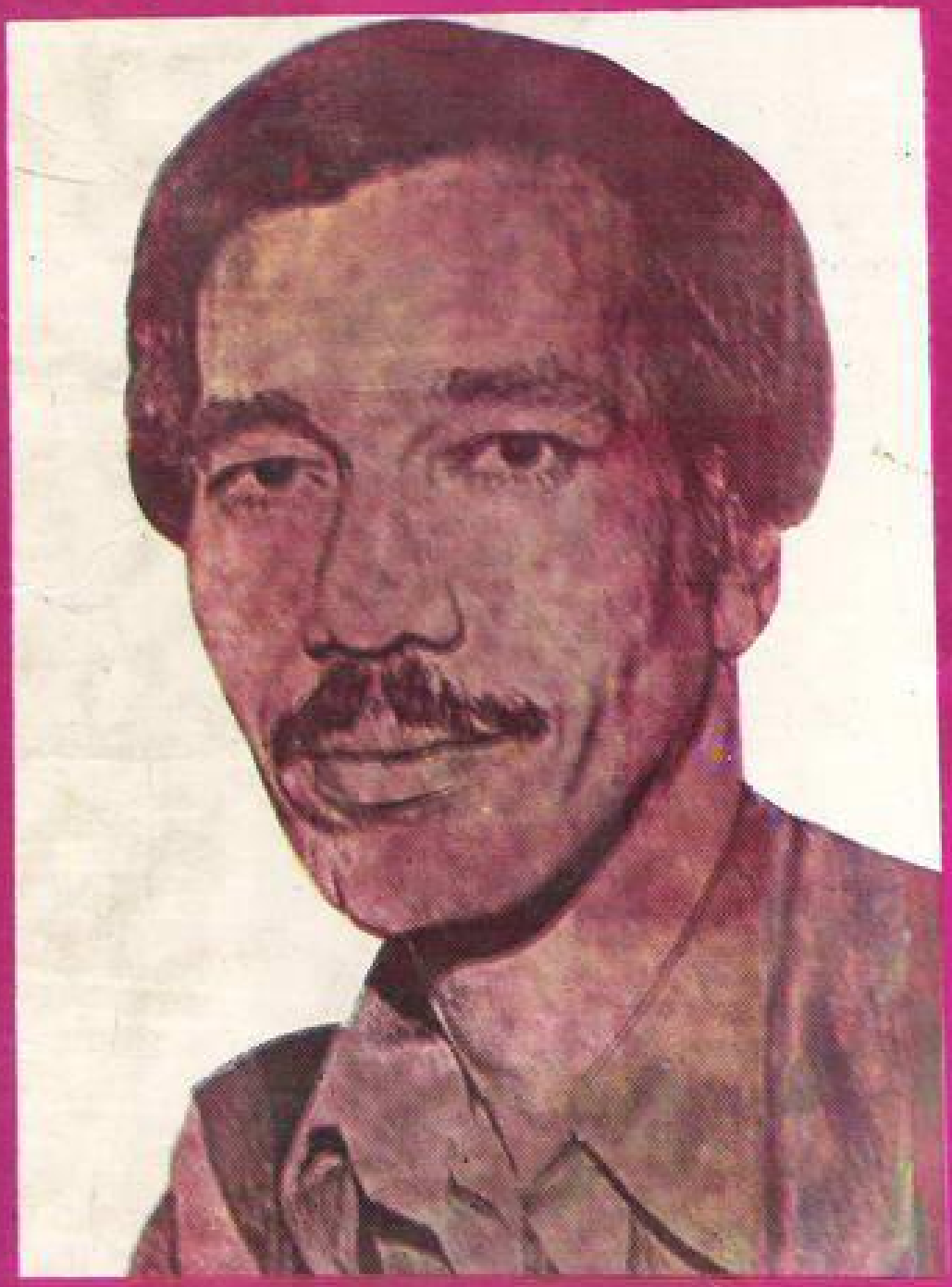

www.egyptsons.com